الشقراء والورقة الزرقاء!

"ابتسامة لطيفة أو قوام رشيق، قد يخفي وراءه عالماً من الأهوال، مثلما قد تكون الورقة الفتانة (الدولار) مجرد سفيرة نوايا حسنة لنهايات حزينة". هكذا بدأ ناشط حديثه، وهو يحاول تبسيط الوجه القبيح لشهوة ساعة تنتهي بشقاء الحياة كلها. وسواء كانت شهوة مال أو "جنس" فإن النتيجة واحدة.

وفي وقت تشير فيه الإحصاءات السعودية إلى أن نسبة تجاوزت التسعين في المئة من الإصابات حدثت بعد اتصال جنسي خارج إطار الزوجية، يحمل البعض، الخطاب الديني المسؤولية العظمى في حض الناس على التزام سلوك "العفة".

وترى عضو الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان في السعودية سهيلة زين العابدين حماد أن مؤشرات الإحصاء، هتكت صورة المثالية التي يدعيها بعض الأفراد في التزام المجتمع واستقامته "خطير جداً أن يكون ارتكاب الفواحش أبرز سبب لانتشار الوباء في بلد مناهجه تشهد فيها المواد الدينية كثافة كبيرة، ويغلق المحال لأداء الصلاة، إمعاناً في حمل الناس على التزام الجادة. يجب أن نسأل

أنفسنا بصراحة ما الدوافع وراء ارتكاب أولادنا للفواحش؟ أنا شخصيا أرى أن الخلل في المقام الأول تربوي، وفي الثاني ديني".

وأوضحت ذلك بأن "الأسرة أصيبت بشرخ كبير بسبب عدم استيعاب كثير من أولياء الأمور لدورهم التربوي على النحو السليم، فدائما تخوف الشبان من الله وعقابه وناره، في وقت لم تزرع فيهم محبته ومراقبته، كما أنها أعطت للذكور وكالة بفعل ما يشاؤون، حتى إن بعضهم عندما تقصر إمكاناته المادية أو ارتباطاته عن السفر من أجل المتعة الحرام يزني بمحرمه! ولدينا في الجمعية حالات يشيب لها الرأس تكشف إلى أي مدى تعاني أخلاق أبنائنا من ترد خطير".

وتعتقد أن الخطاب الديني من جانبه عزز هذه المسألة في برامجه "التي تركز على أن المرأة فتنة، وأن على الرجل أن يحذر منها، وأنها محل للغواية، ما جعل الشاب يتصور المرأة وعاء لتفريغ شهواته في الحلال أو الحرام فقط، وسط غياب شديد للنظر إلى خصائصها الوجدانية والإنسانية" على حد تعبيرها.

هل يغض الرجال أبصارهم؟

وضربت حماد مثلاً على تناقض ذلك الخطاب مع المسلك الإسلامي الذي تخصصت فيه باكراً قبل اهتمامها بالشؤون الحقوقية، وتقول: " قليلاً ما نسمع خطيباً أو واعظاً يدعو الرجال إلى غض البصر، بينما المرأة ينهونها حتى عن كشف وجهها الذي أبيح لها (في بعض المذاهب)، وربنا عز وجل قدم الرجال على

النساء في الدعوة إلى غض البصر في قوله: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ...**﴾، وبعدها جاء قوله: ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**﴾. وقالت إنها عارضت عالماً دعا النساء في حملة حج كانت فيها إلى تغطية وجوههن، بحجة أن الرجال إذا نظروا إليهن يعود الإثم على النساء!

وأشارت حماد إلى أن المطلوب هو: " تربية الأولاد على العفة ومجاهدة النفس، وقوة الإرادة لمقاومة الشهوات، حتى يستطيعوا تنزيه أنفسهم من الآثام والأمراض، ومن أجل أن يقابلوا ربهم وهو راض عنهم. وبما أن المجتمع شريكاً في أسباب إصابة بعض أفراده بهذا الوباء (الإيدز)، بسبب إخفاقه في التربية، فإن عليه أن يتقبلهم وأن لا يحرمهم حقوقهم العامة والخاصة، فنحن كمجتمع وجامعات ومساجد شركاء لهم في الخطيئة، كما أنه لا بد من توعية الزوجات بصراحة عن الكيفية التي تمكنهن من حماية أنفسهن من هذا المرض، عبر استخدام الوسائل المتوفرة حاليا".

النساء أكثر عفافاً!

وفي جانب المرأة التي تركز حماد على قضاياها أكدت أن "معظم النساء لا يدفعهن إلى الوقوع في حبال الرذيلة إلا (الفقر)، ولذلك نحن طالبنا في مؤتمر في القاهرة بتوفير أساليب عيش كريمة للفتيات اللاتي تلجئهن الحاجة إلى ممارسة الرذيلة".

وأضافت: "من الصعب أن ندعي أن المرأة يمكنها الصمود أمام الفقر والإغراء معاً، وفي الجمعية اتصلت بي امرأة وقالت إن وزارة محددة ساومها أحد رجالها على عِرضها حتى تحصل على مساعدته، وأخرى قالت إن صاحب الوظيفة التي تقدمت لها رحب بها، وتسلمت مهمتها، إلا أنها اكتشفت فيما بعد أن أحد أثمانها، تلبية طموحاته الجنسية، فاستقالت منها".

وخلصت في هذا المحور إلى ضرورة " تأمين حد الكفاف للمرأة حتى لا تدفعها الحاجة إلى ممارسات غير أخلاقية، تعرض دينها وصحتها للخطر".

وكان تقرير للأمم المتحدة شدد على أنه لا أمل في السيطرة على الوباء "إن لم توضع النساء في صلب التحرك" وإن لم يكافح التمييز الذي يقعن ضحيته غالبا ويحرمهن من التعليم والعناية الصحية والتوظيف.

فوبيا "الإباحية"

ويجيء اليوم العالمي للإيدز هذا العام ٢٠٠٦، وقد أوشكت جمعية وطنية لمرضى الإيدز في السعودية على الخروج إلى النور، مما يعد "خطوة إيجابية في التعامل مع الشريحة التي لا تزال تعاني نبذاً اجتماعياً، وتمييزاً من الناحية الحقوقية، لأسباب شتى" كما يشير رئيس الجمعية التي لم تنته إجراءات إشهارها بعد، واستشاري الأمراض المعدية في مستشفى الملك فيصل التخصصي الدكتور عبدالله الحقيل.

وكان حذر مما أسماه تأخراً في نشر الثقافة الجنسية بين أفراد المجتمع السعودي، وسط زيادة سنوية مخيفة لعدد المصابين بالإيدز بلغت أخيراً ١٥ في المئة، في وقت سجلت فيه نسب انتشار الوباء تراجعاً في بعض الدول، وصل ٤٠ في المئة!

ويركز الحقيل على الناحية الحقوقية للمرضى إلى جانب التوعية التي رأى أهمية "احترام الثوابت الدينية فيها والموروثات الاجتماعية في الجوانب المتعلقة بالجنس، مع الأخذ بالاعتبار حال الواقع، وتوجيه رسالة توعية واضحة بطرق الوقاية، بسبب شيوع "فوبيا الإباحية" التي أخذت تتناقص، بفضل الانفتاح الإعلامي".

لكنه أشار إلى أنه ما عاد يجد معاناة كبيرة في الكتابة عن وسائل توقي الإصابة بالفيروس جراء الاتصال الجنسي مثل السابق قائلاً: "حين كتبت مرة عن استخدام الواقي في الاتصال الجنسي، واجهت سيلاً من الرسائل والشتائم التي اتهمتني بالدعوة إلى الإباحية"!

ومهما تباينت المسؤوليات يظل وباء "الإيدز" خطراً، ينتهز في الإنسان أضعف لحظاته مع ذاته، أمام فتنة جسدٍ أو دولار، ولكن "عند الله تجتمع الخصوم".